

دور المعلم في اكتشاف الإساءة الانفعالية للأطفال

The Educator's Role In Reporting the Emotional Abuse of Children

ترجمة

د. محمد السعيد أبو حلاوة

مدرس الصحة النفسية، كلية التربية بدمياط، جامعة الإسكندرية

= Author: Felicia F. Romeo.

= Source: [Journal of Instructional Psychology ,Sept, 2000.](#)

= Translator: Mohamed El-Saeid Abou-Halawa.

* Educational Psychology Department,

*Faculty of Education,

*Damanhour City,

* El-Behaira,

* Egypt.

* Phone, 0184504690

المكتبة الالكترونية



www.gulfkids.com

دور المعلم في اكتشاف الإساءة الانفعالية للأطفال

مقدمة:-

يصح القول بأن المعلمين في وضعية مثلي تمكّنهم من اكتشاف مختلف صور الخلل النفسي والسلوكي التي قد يعاني منها المتعلمون لذا هم بحكم هذه الوضعية يشكلون خط الدفاع الأول في مسار اكتشاف وإثبات تعرض الأطفال للإساءة المعاملة والإهمال بصيغها وتجلياتها المختلفة ومنها بطبيعة الحال الإساءة الانفعالية. وقد يكون من السهل للمعلمين اكتشاف الإساءة البدنية والإساءة الجنسية نظراً لوضوح المؤشرات البدنية والسلوكيّة الدالة عليها ولكن قد يتعدّر عليهم اكتشاف حالات التعرض للإساءة الانفعالية للعديد من الأسباب منها قلة المعلومات المتوفّرة لديهم عن هذه الصيغة من صيغ إساءة المعاملة. وتكون الإساءة الانفعالية من جروح داخلية نفسية تجعل من الصعب اكتشافها. والأطفال ضحايا التعرض للإساءة الانفعالية يميلون إلى تجنب الكشف عنها أو التحدث بشأنها لذلّك لا يتلقون الخدمات النفسية الوقائية أو العلاجية التي تضمن الشفاء الانفعالي أو النمو الانفعالي الطبيعي.

وتتجدر الإشارة إلى أن تأثير الإساءة الانفعالية على مجمل البناء النفسي لضحايا التعرض لها لا يقل خطورة عن تأثير الإساءة البدنية أو الإساءة الجنسية أو الإهمال بل قد يكون أشد خطورة إذ أن تأثيرها – الإساءة الانفعالية - يطال بصورة خاصة تقدير الطفل لذاته وصورة الذات لدى الطفل، والكفاءة الاجتماعية لديه. وملووم أن هذه المجالات النفسية شديدة الحساسية تدمر البناء النفسي العام للضحية وتجعله نهباً لمختلف صور الخلل النفسي والسلوكي. وعلى أية حال يستهدف المقال الحالي تزويد المعلمين بصورة خاصة بالمعلومات المتعلقة تحديداً بالمؤشرات السلوكية التي قد تدل على احتمال تعرض الأطفال للإساءة المعاملة الانفعالية. والتأكد بصورة تامة على العلاقة بين تعرض الطفل للإساءة الانفعالية وتقدير الذات وصورة الذات لديه والتأثيرات السلبية طويلة المدى لمثل هذه الصيغة من صيغ إساءة المعاملة.

= أوّلاً دور المعلمين في اكتشاف الإساءة الانفعالية:

كل يوم وعبر مختلف المناطق يبلغ المعلمون السلطات المختصة برعاية ووقاية الأطفال عن الكثير من الحالات التي يشكّون في احتمال تعرض أصحابها لسوء المعاملة والإهمال ويعبّر هؤلاء المعلمون عن أسباب منطقية تعزّز مثل هذه الاحتمالات وذلك عبر العديد من الخطوط الهاتفية الساخنة. وتتجدر الإشارة إلى أن المعلمين في الكثير من الدول المتقدمة يحضرون دورات تدريبية أثناء الخدمة تتعاطى بالدراسة العلمية الجادة ظاهرة إساءة معاملة الأطفال والمؤشرات السلوكية الدالة عليها. وتعطي معظم برامج التدريب أثناء الخدمة في هذا المجال المؤشرات السلوكية للإساءة البدنية والإساءة الجنسية وتتجاهل أو تمر مرور الكرام على المؤشرات السلوكية للإساءة الانفعالية. وربما يفسّر هذا التجاهل بأن المؤشرات السلوكية الدالة على الإساءة البدنية والإساءة الجنسية والإهمال تمثل أو تتجسد في جروح خارجية يسهل ملاحظتها وإثباتها. أما المؤشرات السلوكية للإساءة الانفعالية خاصة الأعراض التي تظهر على الأطفال الذين يستحببون بطرق سلبية أكثر صعوبة في الاكتشاف. وذلك يفسّر النسبة القليلة لمعدلات الإساءة الانفعالية التي تظهر في الحالات والتقارير الإحصائية المعلن عنها حيث يشير وود على سبيل المثال إلى أن حالات الإساءة الانفعالية المثبتة 4% فقط من إجمالي حالات إساءة معاملة وإهمال الأطفال (Wood, 1999). وأيضاً نتيجةً أن المعلمين لا يتلقون معلومات كافية فيما يتعلق بالإساءة الانفعالية في برامج التدريب أثناء الخدمة ربما يعتقدون أن الإساءة الانفعالية أقل خطورة من صيغ الإساءة الأخرى وبالتالي تجاهل المؤشرات السلوكية الدالة عليها. وكما سبق القول تحدث الإساءة الانفعالية تأثيرات مدمرة للبناء النفسي لضحاياها حيث أنها تؤثّر بصورة خاصة على مفهوم الطفل لذاته وعلى نموه وكفائه الاجتماعيّة.

ثانياً البيئة الانفعالية للأسرة | The Emotional Environment of the Family

تلعب البيئة الانفعالية أو المناخ الانفعالي للأسرة دوراً مركزاً في نمو تقدير الذات وصورة الذات لدى الطفل. ففي الأسر ذات المناخ أو البيئة السوية انفعالياً يشعر الطفل بالحب وأنه مرغوب فيه من خلال استحسان وتقبل وتشجيع الآباء الطفل لإقامة علاقات ارتباط آمنة وسوية معهم. ونتيجة لحب الآباء وعلاقاتهم الاجتماعية الإيجابية مع الطفل ينclون له رسائل عديدة مفادها أنه عضو فعال ومهم في الأسرة. وبالتالي ينمو ويتطور لدى صورة ذات إيجابي للذات بوصفه شخصاً ذو قيمة ومكانة إيجابية، وينمو ويتطور لدى صورة ذات إيجابية كشخص صالح ومحبوب. أما في الأسر المسيئة انفعالياً يشعر فيها الطفل بعدم الحب وبأنه غير مرغوب فيه. وفي مثل هذه الأسر نجد الآباء ينبدون الطفل بصورة دائمة ويستهجنون سلوكياته علناً وبصورة دائمة أيضاً. والآباء المسيئين انفعالياً للطفل قد يشجعون الآخرين على نبذ طفلهم ورفضه والقصوة في معاملته. وهنا تصبح البيئة الانفعالية للأسرة باردة جافة عدائية لا يظهر أو لا يقدم فيها الآباء للطفل أي تواطؤ؛ مساندة؛ أو توجيه وإرشاد. وفيها يحرم الطفل من الرعاية النفسية الالزمة لسلامة انتظام مسار التطور والنمو النفسي.

والإساءة الانفعالية ليست حدثاً يتعرض له الضحايا مرة واحدة ولكنها أسلوب تعامل دائم بل قد يكون منهج يتاثر به الطفل في كل مواقف وسياسات التفاعل الاجتماعي مع أعضاء السرة خاصة الآباء يستهدف إلغاء الوجود النفسي للطفل. وهي سلوك مستمر يمارسه المسيطر يقلل مفهوم الذات لدى الطفل لدرجة تجعله يشعر بعدم القيمة وفقدان احترام الذات، الافتقار إلى الصداقة، الافتقار الحاد للحب والتواطؤ.

وتتضمن سلوكيات الإساءة الانفعالية التي يرتكبها الآباء في حق أطفالهم:

- إسقاط الآباء لطموحاتهم على الأطفال بغض النظر عن قابليات وقدرات الأطفال على تحقيقها دون توفير متطلبات تحقيق هذه الطموحات. وقد تتمثل أيضاً في ارتفاع سقف التوقعات الوالدية فيما يتعلق بسلوكيات الأطفال.
- تسمية الأطفال ومناداتهم بأسماء بدئية وإلصاق هذه الأسماء بهم مثل (السرير، القبيح، الغبي، الكسول، والفاش).
- تعمد إذلال الأطفال أمام الآخرين (المعلمين؛ الأشقاء؛ الأقارب؛ والأصدقاء).

ويمعلوم أن كل الأطفال يحبون آبائهم ويثقون فيهم ونادرًا ما يشكون بصورة مباشرة من الإساءة الانفعالية. وهم لا يمتلكون القدرة المعرفية الكافية ليقاوموا واعياً اعتقدات آبائهم وتهجمهم على تقديرهم لذواتهم. إذ ربما يعتقدون أن صيغ المعاملة التي يعاملهم بها الآباء صيغ معاملة عادلة ومحبوبة. ولسوء الحظ يقبل الأطفال بل يحترمون في بعض الأحيان الجمل المهينة التي يسمعونها الآباء إياها ويعتبرونها حقيقة وتعكس بدقة قيمتهم الذاتية. ونتيجة لهذه الإساءة يكتسب ويطور الطفل تقديرًا شديد التدني للذات ويكتسب في إطارها صورة ذات شديدة السلبية كشخص سيء ولا قيمة له.

= ثالثاً المؤشرات السلوكية للإساءة الانفعالية | Behavioral Indicators of Emotional Abuse

قد يكون من الصعب في الكثير من الحالات اكتشاف المؤشرات السلوكية للإساءة الانفعالي. بل قد يتذرع إيقافها أو وقاية الأطفال منها أو مقاضاة جناتها. وتترك الإساءة البدنية والإساءة الجنسية والإهمال جروحاً مرنية ، بينما تترك الإساءة الانفعالية أثاراً غير مرنية تعبر عن نفسها بالعديد من الطرق المختلفة. وبالتالي الإساءة النفسية أو الانفعالية داخلية وتؤثر على تقدير الطفل لذاته وعلى صورة الذات لديه. ومع ذلك يمكن للمعلم المسلح بالمعلومات الكافية عن الإساءة الانفعالية اكتشاف المؤشرات السلوكية لدى الطفل الذي لديه تقدير ذات مت殿下 ولديه صورة ذات سلبية أو مشوهة. وتتجدر الإشارة إلى أن بعض الأطفال يستجيبون لإساءة الانفعالية بطريقة سلبية في حين يستجيب البعض الآخر بطرق عدوانية:

(1) الأعراض السلبية التي قد يستجيب بها الأطفال للإساءة الانفعالية:

- (أ) صعوبة تكوين علاقات اجتماعية مع الآخرين.
- (ب) عدم القدرة على الارتباط أو تكوين علاقات تعلق مع الأطفال الآخرين.
- (ج) عدم الثقة في الذات، وإعاقة النمو الانفعالي.
- (د) الخجل الشديد.
- (هـ) التعرض للعدوان والعنف والاستغلال على يد الأطفال الآخرين.
- (و) التعب والإرهاق الشديد والبلادة والفتور أو الكسل السلوكي الشديد.
- (ز) اليأس والعجز المكتسب.
- (ح) الإحساس بعدم الأهلية أو بعدم الكفاءة.
- (ط) التشاؤم الشديد والانشغال المفرط بالمستقبل والتهيب التام منه.
- (ك) صعوبة التركيز في الأنشطة المدرسية.
- (ل) إنكار الذات وتمييع الهوية.
- (م) العجز عن الاشتراك في أو الاستمتاع بالأنشطة الترفيهية.
- (ن) لإيذاء الذات مثل شد الشعر، قضم الأظافر؛ والتعرض للحوادث.
- (ش) علامات تحثير الذات كأن يصف الطفل نفسه بالغبي، الشرير؛ الفاسد؛ 0000 الخ.

(2) المؤشرات السلوكية التي يستجيب بها بعض الأطفال للإساءة الانفعالية:

- (أ) مضايقة الآخرين والاعتداء عليهم.
- (ب) تخويف الآخرين وتهديهم.
- (ج) الاستبداد والانحراف السلوكي.
- (د) الاستهزاء والسخرية بالآخرين.
- (هـ) قسوة معاملة الأطفال والحيوانات.
- (و) تدمير الممتلكات وإشعال الحرائق.
- (ز) عدم الاهتمام بالواجبات المنزلية والتأخر في القيام بها.
- (ح) معارضه العودة إلى المنزل أو رفض العودة إلى المنزل.

وفي كل الحالات بغض النظر عن طرق الاستجابة للإساءة الانفعالية سواء كانت سلبية أو عدوانية يتاثر بصورة كبيرة الأداء الدراسي للطفل ليصبح الطفل متاخر دراسياً بصورة لا تتناسب مع قدراته العقلية الدراسية.

=رابعاً تداعيات الإساءة الانفعالية في مرحلة المراهقة Adolescence

عندما يبقى الطفل ضحية الإساءة الانفعالية غير مكتشف ويصل إلى مرحلة المراهقة حاملاً عبء انخفاض تقدير الذات وعبء صورة ذات سلبية خاصة مع استمرار الآباء في ارتكاب سلوكيات الإساءة الانفعالية في حقه خلال مرحلة المراهقة تتعزز وتثبت في مخططه المعرفي الكثير من الاعتقادات الخاطئة التي تدور في معظمها حول اعتقاده بأنه شخص فاسد، شرير؛ ولا قيمة له. والأخطر من ذلك أن كل قرارات المراهق تتشكل في إطار الإساءة الانفعالية إذ نراه يشتراك أو ينهمك في علاقات مسيئة مع الآخرين؛ وفي أنشطة

مسيئة للذات مثل تعاطي الخمور والمخدرات؛ المقامرة؛ الدعاارة وممارسة الرذيلة بهدف التربح؛ الهروب، والأنشطة الإجرامية. وعليه فإن مشكلات المراهقة غالباً ما تكون أعراض مباشرة للخبرات التي يمر بها المراهقون خلال مرحلة الطفولة كما أنها ترتبط بسلوكيات إساءة المعاملة التي يستمر الآباء في ارتكابها في حقهم وهم في مرحلة المراهقة.

= خامساً تداعيات الإساءة الانفعالية في مرحلة الرشد | Adulthood =

لا تؤثر إساءة المعاملة في مرحلة الطفولة على الحالة السلوكية للأطفال عند وصولهم لمرحلة المراهقة وحسب بل تمتد تأثيراتها لتلوّن حالتهم السلوكية والنفسية العامة في مرحلة الرشد أيضاً. والعديد من ضحايا الإساءة الانفعالية في مرحلة الطفولة يتعرضون لها أيضاً وهم في مرحلة الرشد. إذ يدخلون بصورة مستمرة في علاقات اجتماعية ذات طابع مسيء يستغلون فيها أسوأ استغلال من قبل الآخرين. ويفضي إحساسهم بعدم القيمة إلى اعتقادهم بأنهم يستحقون الإساءة من قبل الآخرين. وينمو بعض ضحايا الإساءة الانفعالية بصورة تجعلهم راشدين عدوانيين فاقدين لقدرة على ضبط الذات أو السيطرة على الغضب يأكلهم الغضب والحدق والكراهية بل يرتكبون حماقات سلوكية تجعلهم يواصلون دائرة الأفعال المسيئة انفعالياً وذلك بالإساءة الانفعالية لأطفالهم عندما يتزوجون وينجبون. وعليه تنتقل الإساءة الانفعالية من جيل إلى جيل.

= سادساً الإبلاغ عن الإساءة الانفعالية وإثباتها | Reporting Emotional Abuse =

يتاح للمعلمين الكثير من فرص ملاحظة الأطفال في الفصول. وبناء على ذلك المعلمون في وضعية ممتازة لمساعدة الأطفال ضحايا الإساءة الانفعالية. ولا يستطيع هؤلاء الأطفال الهروب من الميسئين. وهم في حاجة ماسة إلى شخصاً ما يدافع عنهم. والمعلمون يلعبون دوراً هاماً في حماية هؤلاء الأطفال الأبرياء، وعندما يشك المعلمون في احتمال تعرض الأطفال لسوء المعاملة الانفعالية بناء على اكتشاف العلامات الدالة عليها يجب أن يبلغوا أو يعبروا عن شكوكهم لهيئات رعاية ووقاية الأطفال عبر الخط الساخن. وبعد أن يتم اكتشاف وإثبات تعرض الطفل لسوء المعاملة الانفعالية يقدم له كافة خدمات التدخل على المستويين الوقائي والعلاجي وذلك عن طريق الكثير من التدخلات والبرامج النفسية التي تساعده على إصلاح تقديره لذاته وتعديل صورة الذات لديه. ومن خلال العلاج والإرشاد النفسي يتعلم كل طفل بناء علاقات تفاعل اجتماعي قائم على الثقة مع شخص راشد متعاطف ومتقبل للطفل ومساند له. مما قد ينتج عنه أن يبدأ هؤلاء الأطفال في الإحساس بقيمتهم الذاتية وإدراكه وتقييم أنفسهم كأشخاص محظوظون وذاق قيمة وجدارة. ويمكن أن تتاح لهم فرصة تصحيح تقديرهم لذاتهم من خلال المشاركة في مختلف برامج العلاج مثل العلاج باللعبة؛ العلاج بالفن؛ العلاج بالرقص التعبيري؛ العلاج بالقراءة. وإذا كان من الضروري إبعاد الأطفال عن المنزل يمكن إلحاقهم ببرامج دور الرعاية. ويشعر بعض الآباء بالذنب بع إساءة معاملة أطفالهم انفعالياً وربما تملكون الرغبة في تغيير سلوكياتهم. لذا يمكن أن يلتتحق هؤلاء الآباء بجلسات للإرشاد النفسي، وبرامج ضبط الغضب، وغير ذلك من البرامج التي تكسبهم مهارات تموين علاقات اجتماعية انفعالية إيجابية فعالة مع أطفالهم.

= سابعاً خاتمة: =

تحدث الإساءة النفسية أو الانفعالية تأثيرات مدمرة للبناء النفسي لضحايا التعرض لها قد تفوق التأثيرات التي تحدثها صيغ إساءة المعاملة الأخرى (الإساءة البدنية؛ والإساءة الجنسية؛ والإهمال)، وذلك لأن إساءة الانفعالية تضر أو تدمّر - هكذا بنصه- تقدير الطفل لذاته وصورة الذات لديه. ويلعب المعلمون المزودون بمعلومات كافية فيما يتعلق بالمؤشرات السلوكية للإساءة الانفعالية دوراً مهماً في وقاية الأطفال ضحايا الإساءة الانفعالية عن طريق الإبلاغ عن الحالات التي يشك في تعرض أصحابها لهذه الإساءة لهيئات رعاية ووقاية الأطفال عن طريق الخط الساخن. وعندما يحال الأطفال ضحايا الإساءة

الانفعالية لهيئات رعاية ووقاية الأطفال يتلقون برامج علاج وإرشاد نفسي لمساعدتهم في إصلاح أو تعديل تقدير الذات وتعديل صورة الذات السلبية. وفي حال عدم تلقي الأطفال ضحايا الإساءة الانفعالية خدمات العلاج والإرشاد النفسي فإن تداعيات الإساءة الانفعالية يمكن أن تدمر الحياة النفسية والسلوكية لهم.

=References:

Associated Press, Sun-Sentinel, February 2, 1991, P. B-10.

Kempe, H. C. and Kempe, R. S.(1978). Child Abuse. Howard University Press, Cambridge, Massachusetts.

Leman, K. (1993). Bringing Up Kids Without Tearing Them Down. Delacorte Press, New York.

Toufexes, A. (1998). Report Cards Can Hurt You. Time, 133(18), p. 75.

Wallach, L. B.,(1993). Helping Children Cope with Violence. Young Children, May 1993, pp. 4-11.

Wood, J. Emotional Abuse -- An In Depth Review, http://suite101.com/article.cfm/domestic_violence/23806.

Dr. Felicia F. Romeo, Clinical Psychologist, College of Education, Florida Atlantic University.